فالذين يتجرون في كنتون ليسوا من بلاد الانكليز فقط فان اتوا كلهم واقلقونا بمطالبهم مثلما اقلقتنا فهل يمكن ان نعدل عن مسلكنا القويم ونجيبهم إلى مطالبهم. وبما اننا نعلم ان مملكتك في زاوية خفيَّة في القفر البعيد يفصلها عنا بحار كثيرة وانت بالطبع غير عارف رسوم البلاط السموي فلذلك امرنا ورزاءنا ان يوضحوا ذلك كلهُ لرسلك ويثقفوا عقولهم ثم يصرفوهم الى بلادهم . ولكننا خفنا من ان رسلك لا يوضحون هذه الامور لك جيدًا فاستعملنا عمَّا يطلبون وارسلنا اليك الاوامر التالية لتعليمك عساك تفهم معنانا " . ويتلو ذلك ستة اوامر مشروحة شرحًا مسهبًا يبين فيها انهُ لا يمكن اجابة مطالبهِ وهي مختتمة بالكلام الآتي

" فلا تقل انا لم نتذرك فخف واخضع لاوامرنا بلا امهال "

ولم يكن الانكليز كما يوصفون بهذه الرسالة بل كان لهم المقام الاول بين دول اوربا كما لهم الآن. الاَّ انهم لم يُعرِضوا عن سلطان الصين لانهُ جهل قدرهم بل بعثوا اليهِ وفدًا بعد وفدٍ ورسولاً بعد رسول ثم اروهُ مقدرتهم بقنابل المدافع سنة ١٨٤٠ ودخلوا عاصمتهُ عنوةً فاضطروهُ ان يسلمهم جزيرة هونغ كونغ ويفتح موانيهُ لتجارتهم ويخاطب ملكهم كما يخاطب المثيلُ مثيلهُ . وحاربوهُ مرة اخرى سنة ١٨٥٨ واضطروهُ ان يقبل سفراءهم في عاصمتهِ ويعاملهم معاملة نوَّاب ملك مساوٍ لهُ مقامًا وان يسمح للاوربيين ان يسافروا في بلادهِ كيفما شاءوا. وحاول ان لا يمضي شروط الصلح فحاربوهُ مرة ثالثة وفتحوا عاصمتهُ واضطروهُ إلى امضائها

وتاريخ الاوربيين مع امم المشرق يكاد يكون كلهُ على هذا النسق ونتيجتهُ واحدة وهي ان الاوربيين يعتمدون على العلم والعمل فيزيدون قوةً وعظمةً وغنىً ونحن نعتمد على الدعوى والاوهام فنزيد ضعفًا وحطةً وفقرًا . اما اسباب ذلك فنترك البحث فيها الى القراء الكرام

زوبعة سنت لويس

سنت لويس مدينة في وسط النصف الشرقي من الولايات الاميركيَّة المتحدة وهي اعظم مدينة تجاريَّة في وادي نهر المسيسبي . كانت في اول امرها مرفأً على ذلك النهر العظيم انشأهُ رجل فرنسوي سنة ١٧٦٤ وسماهُ سنت لويس باسم لويس التاسع ملك فرنسا ونشأت هناك قرية صغيرة ضُمَّت الى اميركا سنة ١٨٠٣ و بلغ عدد سكانها ٧٩٥ نفسًا سنة ١٧٩٩ و١٤٠٠ نفس سنة ١٨٢٠ ثم زاد نموها سريعًا كغيرها من المدن الاميركيَّة فبلغ عدد اهاليها ١٦٤٦٩

سنة ١٨٤٠ و٧٤ الفاً سنة ١٨٥ و٣١٠ آلاف سنة ١٧٨٠ و٤٥١ الفاً سنة ١٨٩٠ وهو الآن نحو ستمئة الف نفس. وفي المدينة جسر (كوبري) عظيم عَلَى نهر المسيسبي اسمهُ جسر ايدس فيهِ ثلاث اقواس طول الوسطي منها ٥٢٠ قدماً وطول كلٍّ من القوسين اللتين عَلَى جانبيهِ ٥٠٠ قدم وقدمان وقد بلغت نفقاتهُ اكثر من ستة ملايين ونصف من الريالات. وفيها كثير من الكنائس والمدارس والمكاتب والمباني العموميَّة وهي منارة كلها بالنور الكهربائي ويقال انها من اجمل مدن اميركا

وقد اشرنا في الجزء الماضي الى الزوبعة التي حدثت فيها في السابع والعشرين من شهر مايو (ايار) ولم يسع المقام حينئذٍ وصفها فرأينا ان نثبتهُ الآن

كتبنا في الجزء الثاني من اجزاء هذهِ السنة كلاماً مسهباً في حقيقة الزوابع واوصافها ونزيد عليهِ الآن انهُ ثبت من البحث في ستمئة زوبعة حدثت في الولايات المتحدة الاميركيَّة ان الزوابع تحدث في كل فصل من فصول السنة ولكن اكثرها في الربيع والصيف ولاسيما في ابريل ومايو ويونيو ويولو (نيسان وايار وحزيران وتموز) واقلها في الشتاء واكثر حدوثها بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر وحركتها رحويَّة وتكون دائماً من اليمين الى اليسار وتسير الى جهة الشمال الشرقي. وسرعة الغيوم الزوبعيَّة من سبعة اميال الى مئة ميل في الساعة ومحورها يسرع اكثر من ذلك كثيراً فتكون سرعتهُ من مئة ميل الى خمس مئة ميل في الساعة وقد بلغ الف ميل في الساعة وهي سرعة تفوق الوصف. واذا كانت سرعة الريح خمس مئة ميل في الساعة فقوة ضغطهِ عَلَى كل قدم مربعة ٨٥٠ ليبرة اي ان البيت الذي طول حائطهِ المعرَّض للزوبعة خمسون قدماً وعلوهُ ثلاثون قدماً تصدمهُ الزوبعة بقوة تساوي احد عشر الف قنطار. وعرض الزوبعة يختلف من اربعين قدماً الى عشرة آلاف قدم هٰذا حيث يكون فعلها عَلَى اشدهِ. وطولها من الف وخمس مئة قدم الى مئتي ميل والمتوسط خمسة وعشرون ميلاً

وقد وصف مكاتب الدايلي تلغراف زوبعة سنت لويس فقال ما ترجمتهُ

اشتدَّ الحرُّ في السابع والعشرين من مايو وهجمت الريح وسكن النسيم وقلق الناس من ذلك. ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر تلبَّدت الغيوم في افق السماء من جهة الغرب وتراكمت بعضها فوق بعض وقد تذهَّبت حواشيها فجمعت بين جمال المنظر ومهابتهِ. ثم هبَّ النسيم وتبعهُ ظلام دامس بغتةً. واشتدَّ حلك الظلام وعصف الرياح فاضطرب الناس ولكنهم لم يخافوا وامتدَّ من الغيوم اعاصير كخراطيم الافيال بعضها ذهب في الهواء وبعضها هبط إلَى الارض يثب عليها وثباً وهو يتلوَّى ويعجّ كالجريح وتراسلت حولها البروق

وكثر ظهور الكهربائيَّة ثم عصفت الزوبعة باهوالها فقصفت الرعود واحاطت الاعاصير بالجانب الغربي من المدينة ونشرت فيهِ الخراب والدمار في اقل من نصف ساعة

وقد فاقت هذه الزوبعة كل الزوابع ٱلَّتي حدثت في اميركا شدة وهولاً حتى ان المباني الفخيمة المبنيَّة لكي تقاوم الزوابع قوضت الزوبعة اركانها باسرع من لمح البصر ونزعت الاطواق الحديديَّة وبعثرتها واقتلعت السقوف المكنَّة باقوى الوسائل ٱلَّتي استنبطها البشر ودحتها في الشوارع وقلعت عمد التلغراف ورمتي بعضها مع بعض كأنها حزم النبال . وهناك جسر كبير اسمهُ جسر ايدس من ابدع جسور الدنيا خرَّبتهُ وخربت غيرهُ من الجسور ٱلَّتي عَلَى نهر المسيسبي

وكان منظر هٰذا النهر وقت الزوبعة مريعاً فجاشت مياههُ وغلت كالقدر وماجت امواجاً عظيمة لطمت السفن وعلت فوقها ورفعت بعض البواخر وطرحتها عَلَى البر او اغرقتها فلم يوقف لها عَلَى اثر . وكل ما مرَّت بهِ الزوبعة خرَّبتهُ او اتلفتهُ وتم ذلك كلهُ في ساعة من الزمان

وقد كتب الينا احد ادباء السوريين وكان في سنت لويس لما اصابتها الزوبعة فقال

" اكفهرَّ وجه الجو في اصيل يوم الاربعاء (٢٧ ماي سنة ١٨٩٦) وتبدل الضياء ظلاماً حالكاً ثم جلجلت السماء ببروقها وسمع للسحاب زفزفة وهزيم كأن جيش عدو جرار قد احاط بالمدينة من جهاتها مستديراً يطلق عليها القنابل من بُعْد فلا يسمع لها الاَّ صوت اجش او كأن ارتالاً من القطارات بحمولها الثقيلة تنساب في كل شارع فلا يخلو من جرشها مسمع حتى اذا كانت الساعة الخامسة مساء اتت السماء بالمطر الهطَّال وفي اثرهِ الرياح السوافي فزعزعت السطوح ونسفت البنايات وقطعت الاسلاك وزحزحت الجلاميد المنسوقة والآجر المرصوف وهدمت الاحياء العديدة واقتلعت الاشجار الضخمة في المتنزهات والحدائق وحطمت البواخر والسفن في نهر ميسيسبي واحتملت الانسان والجماد والبهيم تنثرها كيف شاءت كالهباء واينما مرت خلَّفت الخراب والانتحاب . وصدمت جسر إيدس العظيم وهو من الصخر الصلد والحديد المتين استأثرت باعلاهُ ونسفت جانباً منهُ بعد ان طرحت المركبات في الماء . وامسكت القسم الغربي من المدينة عَلَى ضفة النهر من ولاية ايلينويز باصابع تحمل الموت والدمار فسقط كل منزل الاَّ واحداً من خمسة آلاف وخمسين بيت سكني ومعمل صناعة وعدد الهالكين خمسمائة ولم تدم قوة الزوبعة اكثر من ساعة ودقائق قليلة شأن الزعازع كلها لانها لا تتجاوز الساعتين من الوقت كما انها لا تكون الاَّ ما بين الثالثة الى الثامنة مساء حسب المراقبة والقياس " انتهى